

مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ

المُحَاضِرَةُ ٤ : مَحَبَّةُ اللَّهِ الْمُحْسِنَةُ

أ. ر. سي. سبرول

في مُحَاضِرَتِنَا السَّابِقَةِ، تَتَاوَلْنَا الْجَانِبَ السَّلْبِيَّ لِلْوَفَاءِ، وَمَا يَجْرِي حِينَ نَمُرُّ فِي عَدَابِ الْخِيَانَةِ وَالْعَدْرِ، بَيْنَمَا نُحَاوِلُ فَهْمَ الْجَانِبِ الْوَفِيِّ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ. وَالْيَوْمَ، كَمَا وَعَدْتُ، سَنَنْطَرُقُ إِلَى الْجَانِبِ الْمُعَاكِسِ لِذَلِكَ، الطَّرِيقَةَ الْإِيجَابِيَّةَ الَّتِي يُكَلِّمُنَا بِهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْوَفِيَّةِ. قَبْلَ الْقِيَامِ بِذَلِكَ، أُرِيدُ الْقِيَامَ بِاعْتِرَافٍ مَا. حِينَ كُنْتُ فِي الْكَلِيَّةِ وَفِي مَعْهَدِ اللَّاهُوتِ، دَرَسْتُ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ طَوَالَ سِتِّ سَنَوَاتٍ، وَبِالتَّالِيِ أَصْبَحْتُ لَدِي خَلْفِيَّةٍ وَأَسَاسٍ فِي التَّعَابِيرِ الْيُونَانِيَّةِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فِي حِينَ أَنَّ الْمَرَّةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي دَرَسْتُ فِيهَا الْعِبْرِيَّةَ، كَانَتْ فِي فَصْلِ دِرَاسِيٍّ فِي كَلِيَّةِ اللَّاهُوتِ، حَيْثُ غِبْتُ عَنْ نِصْفِ الْفَصْلِ الدِّرَاسِيِّ بِسَبَبِ الْمَرَضِ. وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ خَلْفِيَّتِي فِي الْعِبْرِيَّةِ ضَعِيفَةٌ جِدًّا.

فِي الْوَاقِعِ، حِينَ كُنْتُ عَائِدًا إِلَى الدِّيَارِ مِنَ الْجَامِعَةِ فِي هُولَنْدَا، وَاتَّجَهْتُ إِلَى مَطَارِ سِخِيُولِ لِلْعُودَةِ إِلَى أَمِيرْكََا، كَانَ مَعِي وَزْنٌ زَائِدٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَمْلِكُ مَا لَا كَافِيَا لِدَفْعِ الْغَرَامَةِ، وَمَا فَعَلْتُهُ لِإِنْفَازِ الْمَوْقِفِ هُوَ تَرْكُ كِتَابِي الْمُقَدَّسِ الْعِبْرِي فِي مَطَارِ سِخِيُولِ، فَاسْتَنْطَعْتُ أَنْ أَحَدَّ مِنَ الْوَزْنِ الزَّائِدِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ كَانَ كَبِيرًا جِدًّا. وَبَعْدَ أَنْ وَصَلْتُ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ، لَمْ أَكَلِّفْ نَفْسِي عَنَاءَ شِرَاءِ كِتَابٍ آخَرَ. وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ مَعْرِفَتِي لِلُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ ضَعِيفَةٌ، بِالْكَادِ أَعْرِفُ الْأَحْرَفَ الْأَبْجَدِيَّةَ. لَكِنْ بِمُسَاعَدَةِ الْقَوَامِيْسِ صِرْتُ مُلِمًّا بِهَا قَلِيلًا. لَكِنِّي لَسْتُ عَالِمٌ لُغَةٍ عِبْرِيَّةٍ قَدِيمَةٍ بِأَيِّ شَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ.

لَكِنْ ثَمَّةَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْعِبْرِيَّةِ، وَيَضَعُ كَلِمَاتٍ أَعْرِفُهَا، وَإِحْدَاهَا أَسَاسِيَّةٌ وَمُهَمَّةٌ جِدًّا فِي مَفْهُومِ مَحَبَّةِ اللَّهِ بِرُمَّتِهِ الَّذِي نَجِدُهُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، إِنَّهَا كَلِمَةٌ تَرُدُّ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا، وَهِيَ كَلِمَةٌ "حَيْسِيد". وَقَدْ تَمَّتْ تَرْجَمَةُ تِلْكَ الْكَلِمَةِ بِطُرُقٍ عَدِيدَةٍ وَمُخْتَلَفَةٍ. أَحْيَانًا نَتِمُّ تَرْجَمَتُهَا بِبَسَاطَةٍ بِكَلِمَةِ "رَحْمَةٍ"، وَأَحْيَانًا نَتِمُّ تَرْجَمَتُهَا بِكَلِمَةِ "لُطْفٍ"، وَأَحْيَانًا نَتِمُّ تَرْجَمَتُهَا بِعِبَارَةِ "مَحَبَّةِ الْعَهْدِ". أَمَّا التَّرْجَمَةُ الْأَكْثَرُ شُيُوعًا، وَالْأَكْثَرُ اسْتِخْدَامًا هِيَ كَلِمَةُ "إِحْسَانٍ"، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ نَتِمُّ تَرْجَمَتُهَا بِعِبَارَةِ "مَحَبَّةِ اللَّهِ الْوَفِيَّةِ"، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَفْهُومُ فِي وَقْتِ مُبَكَّرٍ جِدًّا فِي أَسْفَارِ مُوسَى الْخَمْسَةِ. وَهِيَ كَلِمَةٌ نَتِمُّ اسْتِعْمَالُهَا لَوْصِفِ عِلَاقَةِ اللَّهِ بِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ، وَتَعَهَّدَ لَهُمْ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهًا، وَبِأَنْ يَكُونُوا لَهُ شَعْبًا. إِذَا، عَبْرَ يَمِينِ الْعَهْدِ، يُقَدِّمُ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ لِلْأُمَّةِ الَّتِي كَوَّنَهَا عَبْرَ إِخْرَاجِهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَرِبَاطُ ذَلِكَ الْعَهْدِ هُوَ مَفْهُومُ "الْحَيْسِيدِ" أَوْ الْمَحَبَّةِ الثَّابِتَةِ أَوْ الْإِحْسَانِ.

تَذَكَّرُوا مُجَدِّدًا سَفَرِ النَّبِيِّ مِيخَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، حِينَ حَاوَلَ النَّاسُ فِعْلَ مَا نَفَعْلُهُ الْيَوْمَ، نُرِيدُ أَنْ يَتِمَّ تَلْخِيصُ كُلِّ شَيْءٍ بِثَلَاثَةِ دُرُوسٍ سَهْلَةٍ. لِذَا أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ انزَعَجَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ أَرَادُوا، لِمَسْئُولِيَّةِ الْيَهُودِيِّ تَجَاهَ رَبِّ الْعَهْدِ، أَنْ يَتِمَّ تَلْخِيصُهَا بِعِبَارَاتٍ بَسِيطَةٍ. وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَتِمُّ طَرْحُهُ هُنَا هُوَ "مَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ؟" وَالْجَوَابُ الَّذِي نَقَلَهُ النَّبِيُّ مِيخَا عَنْ لِسَانِ اللَّهِ هُوَ "مَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ (أَوْ الْبِرَّ) وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلَهِكَ". فَكِّرُوا قَلِيلًا فِي الْأَمْرِ، إِنْ اسْتَطَعْنَا اتِّبَاعَ هَذَا التَّلْخِيصِ الْمُرَكِّزِ، فَتَبَلُّورُ جَوْهَرِ حَيَاةِ التَّقْوَى يُمَكِّنُ اخْتِصَارَهُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: فِعْلُ الْحَقِّ، وَمَحَبَّةُ الرَّحْمَةِ، وَالسُّلُوكُ بِتَوَاضِعٍ أَمَامَ اللَّهِ. الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ تِلْكَ النَّصِيحَةِ، مَحَبَّةُ الرَّحْمَةِ، هُوَ كَلِمَةٌ "حَبِيبٌ". "مَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ؟"، يَقُولُ مِيخَا، أَلَّا تَصْنَعُوا الْحَقَّ فَحَسْبُ، بَلْ أَنْ تُبْدُوا إِحْسَانًا وَمَحَبَّةً ثَابِتَةً، أَوْ مَا أَسْمِيهِ هُنَا فِكْرَةَ الْمَحَبَّةِ الْوَفِيَّةِ.

كَانَ لَدَيَّ صَدِيقٌ، كَانَ تَلْمِيذًا لِي فِي مَعْهَدِ اللَّاهُوتِ مِنْذُ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ، وَهُوَ يَخْدُمُ الْآنَ كِرَاعٍ مِنْذُ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ. وَهُوَ قَالَ لِي، قَالَ إِنَّ لَدَيْهِمْ عِبَارَةً فِي عَائِلَتِهِمْ يَسْتَعْمِلُونَهَا بِشَكْلِ مُتَكَرِّرٍ، وَقُلْتُ "مَا هِيَ تِلْكَ الْعِبَارَةُ؟" فَقَالَ "فِي عَائِلَتِنَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الْتِصَاقِنَا بِالْمُلْتَصِقِ"، فَقُلْتُ "الْإِلْتِصَاقُ بِالْمُلْتَصِقِ؟" لَمْ أَسْمَعْ يَوْمًا عِبَارَةً مُمِائِلَةً. مَا مَعْنَى الْإِلْتِصَاقِ بِالْمُلْتَصِقِ؟ فَقَالَ "هَلْ تَعْلَمُ كَيْفَ نَلْتَصِقُ بِالْمُلْتَصِقِ؟" فَقُلْتُ "لَا، لَا أَعْلَمُ. مَا الَّذِي تَقْصِدُهُ بِالْإِلْتِصَاقِ بِالْمُلْتَصِقِ؟" فَقَالَ "هَذَا يَعْنِي أَنَّ فِي عَائِلَتِنَا نَلْتَصِقُ أَحَدُنَا بِالْآخَرِ مَهْمَا كَانَ". هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْجَمِيلَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِوَحْدَةِ الْعَائِلَةِ، أَيَّ أَلَّاكَ حِينَ تَكُونُ مُنْحَرِطًا فِي عِلَاقَاتٍ مَا، مِنْ الصَّعْبِ جِدًّا أَنْ تَتَمَلَّصَ مِنْهَا، لِأَنَّكُمْ أَقْرَابُ، لِأَنَّكُمْ عَائِلَةٌ، لَدَيْكُمْ أُمَّ وَاحِدَةٌ فَقَطْ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَلَدَيْكُمْ أَبٌ وَاحِدٌ فَقَطْ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَهِيَ لِمَاسَاةٍ كَبِيرَةٍ حِينَ تَتَدَمَّرُ تِلْكَ الْعِلَاقَةُ.

كَمْ يَكُونُ أَمْرٌ رَائِعٌ لِإِبِلَادِنَا إِنْ تَبَيَّنَ الْكُلُّ ذَلِكَ الشَّعَارَ فِي يُبُوتِهِمْ "تَحْنُ نَلْتَصِقُ بِالْمُلْتَصِقِ". هَذِهِ الْعِبَارَةُ تَعَكِّسُ مَا يَتَكَلَّمُ عَنْهُ مِيخَا حِينَ يَقُولُ إِنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَإِنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَكُونَ ثَابِتِينَ وَأَمْنَاءَ فِي مَحَبَّتِنَا. كَمَا دَكَرْتُ، إِنَّ مَفْهُومَ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْوَفِيَّةِ مُنْتَشِرٌ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَفِي حَالَاتٍ عِدَّةٍ. لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ التَّعْبِيرَ الْأَكْثَرَ وَضُوحًا عَنِ الْأَمْرِ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، مُوجُودٌ فِي سَفَرِ النَّبِيِّ هُوشَعَ. نَقُولُ عَنِ سَفَرِ عَامُوسَ، إِنَّ الْمَوْضُوعَ الْأَسَاسِيَّ فِي عَامُوسَ هُوَ عَدْلُ اللَّهِ، فِعْلُ الْحَقِّ، لَكِنَّ الْمَوْضُوعَ الْأَسَاسِيَّ فِي سَفَرِ هُوشَعَ هُوَ مَحَبَّةُ الرَّحْمَةِ.

إِذَا، فَلْنُخَصِّصْ بَضْعَ دَقَائِقَ لِنَتَذَكَّرَ رِسَالَةَ سَفَرِ هُوشَعَ. سَابِقًا بِالْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ، سَأَنْقَدُّ إِلَى الْأَمَامِ قَلِيلًا. فِي الْآيَةِ الْأُولَى حَيْثُ نَسْمَعُ الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِعْتِكَافِ، يَبْدَأُ الْأَصْحَاحُ الرَّابِعُ بِالْكَلِمَاتِ الْآيَتِيَّةِ "اسْمَعُوا قَوْلَ الرَّبِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكِمَةً، (أَوْ لِلرَّبِّ مُحَاكِمَةً)، مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ". مَا يَحْدُثُ هُنَا هُوَ أَنَّ هُوشَعَ يَسْلُكُ بِصِفَتِهِ نَبِيًّا كَنَائِبِ عَامٍ فِي مَحْكَمَةٍ، إِنَّهُ يَسْتَدْعِي لِلْمَحْكَمَةِ، إِنَّهُ يَرْفَعُ دَعْوَى مِنْ إِلَهِ الْعَهْدِ إِلَى شَعْبِ خَانَ اللَّهِ

وَسَلِّكَ بِالْعَدْرِ لِدَرْجَةِ اِزْتِكَابِ الرِّزْقِ. إِذَا، هَا إِنَّ النَّبِيَّ يَقُومُ بِهَذَا الْاِسْتِدْعَاءِ وَيُطْلِقُ هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِلَى الْاِغْتِكَافِ. "اسْمَعُوا قَوْلَ الرَّبِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً". هُوَ لَا يَقُولُ "فَلَنَجْتَمِعَ فِي جَلْسَةِ دَرْدَشَةِ حَوْلَ الْمَوْقِدِ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَهَا مَعَكُمْ"، اللَّهُ غَاظِبٌ وَهُوَ يُعْلِنُ حُكْمَهُ الْآنَ عَلَيْكُمْ. السُّؤَالُ هُوَ "مَا الَّذِي عَجَلَ هَذَا الْاِسْتِدْعَاءَ النَّبِيِّ مِنَ اللَّهِ؟"

فَلُنَلِقِ نَظْرَةً. إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً "لَأَنَّهُ لَا أَمَانَةَ وَلَا إِحْسَانَ وَلَا مَعْرِفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ". مَا الَّذِي يَقُولُهُ هُنَا؟ لَيْسَ أَنْتُمْ غَيْرُ مُتَّقِينَ، وَلَا أَنْتُمْ غَيْرُ عَالِمِينَ، وَلَا أَنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ آيَةَ مَعْرِفَةٍ مُنْطَوْرَةٍ. لَكِنْ حِينَ يَقُولُ إِنَّهُ لَا تُوْجَدُ أَمَانَةٌ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، فَالْأَمَانَةُ الَّتِي يَتَكَلَّمُ اللَّهُ عَنْهَا هُنَا هِيَ أَمَانَةُ اللَّهِ. فَأَمَانَةُ اللَّهِ قَدْ حُجِبَتْ، أَمَانَةُ اللَّهِ مُهْمَلَةٌ، أَمَانَةُ اللَّهِ قَدْ أُخْفِيَتْ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ رُفِضَتْ. بِمَ يُمَكِّنُ تَشْبِيهِ ذَلِكَ فِي زَمَانِنَا؟ وَدَعَاهُمْ اللَّهُ إِلَى الْعَمَلِ، قَالَ "إِلَيْكُمْ سَبَبَ إِجْرَائِي مُحَاكَمَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْذُ تُوْجَدُ أَمَانَةٌ". ثَانِيًا، لَا تُوْجَدُ رَحْمَةٌ أَوْ لَا يُوْجَدُ وِلَاءٌ، لَا تُوْجَدُ مَحَبَّةٌ ثَابِتَةٌ. أَنَا أَنْظُرُ إِلَى أَسْفَلَ وَلَا أَرَى هَذِهِ. هَذَا أَسَاسُ عِلَاقَتِي بِكُمْ يَا شَعْبِي، وَأَنَا لَا أَجِدُ ذَلِكَ فِي إِسْرَائِيلَ. لَا تُوْجَدُ أَمَانَةٌ وَلَا رَحْمَةٌ وَلَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

مَا هِيَ عَوَاقِبُ ذَلِكَ؟ فَلَنَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ "قَتْلٌ وَسَرْقَةٌ وَفِسْقٌ، (كَسَرُوا جَمِيعَ الْقَوَانِينِ، إِنَّهُمْ وَجُمُوحٌ)، وَدِمَاءٌ تَلْحَقُ دِمَاءً. لِذَلِكَ تَنْوُحُ الْأَرْضُ وَيَذْبُلُ كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ فِيهَا مَعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، وَأَسْمَاكِ الْبَحْرِ أَيْضًا تَنْتَرَعُ". ثُمَّ يَقُولُ لِاحِقًا "قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ". شَعْبِي، الشَّعْبُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، الشَّعْبُ الَّذِي افْتَدَيْتُهُ مِنْ الْعَبُودِيَّةِ، قَدْ هَلَكَ الْآنَ. لَيْسَ بِسَبَبِ غِيَابِ الطَّعَامِ، وَلَا بِسَبَبِ غِيَابِ قُوَّةِ عَسْكَرِيَّةٍ، بَلْ بِسَبَبِ عَدَمِ مَعْرِفَتِي". "لِأَنَّكَ أَنْتَ رُفِضْتَ الْمَعْرِفَةَ أَرْضُكَ أَنَا حَتَّى لَا تَكْهَنَ لِي. وَلِأَنَّكَ نَسِيتَ شَرِيعَةَ إِلَهِكَ أَنْسَى أَنَا أَيْضًا بَنِيكَ". هَلْ يُمَكِّنُكُمْ تَخْيُّلُ ذَلِكَ؟ هَلْ يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَحَدِهِمْ "سَوْفَ أَنْسَى أَوْلَادَكَ، لَكِنْ هَذَا هُوَ حُكْمِي لِأَنَّكَ نَسِيتَنِي. جَعَلْتُمْ أُمَّةً كَهَنَةً، دَعَوْتُمْ لِتَكُونُوا نُورًا لِلْأَمَمِ، لَكِنَّكُمْ لَمْ تَعُودُوا أَوْفِيَاءَ لِلْعَهْدِ".

الآن، لَنُزِجَ إِلَى الْأَضْحَاحِ الْاِفْتِتَاحِيِّ لِسَفْرِ هُوشَعَ لِنُكُونِ صُورَةً حَوْلَ كَيْفِيَّةِ تَعَامُلِ اللَّهِ مَعَ الْأَمْرِ. يَبْدَأُ السَّفْرُ بِالْكَلِمَاتِ الْاِتْيَاءِ "أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ «أَذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةً زَنَى وَأَوْلَادَ زَنَى، لِأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زَنَى تَارِكَةَ الرَّبِّ!» فَذَهَبَ وَأَخَذَ جُومَرَ بِنْتَ دِبْلَايِمَ، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «ادْعُ اسْمَهُ يَزْرَعِيلَ، لِأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ أَعَاقِبُ بَيْتَ يَاهُوَ عَلَى دَمِ يَزْرَعِيلَ، وَأَبِيدُ مَمْلَكَةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَى أَكْسِرُ قَوْسِ إِسْرَائِيلَ فِي وَادِي يَزْرَعِيلَ». سَيَكُونُ وَوَلَدَكَ نَذِيرًا لِمَا هُوَ آتٍ، مَمْلَكَةُ الشَّمَالِ سَتَدْمَرُ وَتُسَبَى سَبِيًّا، لِذَا أَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَسْمِيَ هَذَا الْوَلَدَ يَزْرَعِيلَ". ثُمَّ حَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتْ بِنْتًا، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: «ادْعُ اسْمَهَا لُورُحَامَةَ»، أَيْ "لَا رَحْمَةَ بَعْدَ الْآنَ"، "لِأَنِّي لَا أَعُودُ أَرْحَمُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ أَيْضًا، بَلْ أَنْزِعُهُمْ نَزْعًا"، إِنَّهَا نِهَايَةُ الْاِحْسَانِ. أَنْتُمْ تَرْفُضُونَنِي وَأَنَا أَرْفُضُكُمْ، هَذِهِ وَثِيقَةٌ طَلَاقٍ يُعْطِيهَا اللَّهُ لِشَعْبِ زَانَ. "ادْعُ اسْمَهَا لُورُحَامَةَ"، لَا رَحْمَةَ لَكَ بَعْدَ الْآنَ.

لَكِنَّهُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ "وَأَمَّا بَيْتُ يَهُودًا فَأَرْحَمُهُمْ وَأَخْلَصُهُمْ بِالرَّبِّ إِلَهُهِمْ، وَلَا أَخْلَصُهُمْ بِقَوْسٍ وَبِسَيْفٍ وَبِحَرْبٍ وَبِخَيْلٍ وَبِفُرْسَانٍ". إِذَا، مَا زَالَ يُعْطِي رَجَاءً لِبَقِيَّةِ سَيْفِهَا. "ثُمَّ فَطَمَتْ لُورُحَامَةَ وَحَبِلَتْ فَوَلَدَتْ ابْنًا، فَقَالَ اللَّهُ... "إِنَّهَا الْعِبَارَةُ الَّتِي أَعْتَبَرُهَا الْأَكْثَرُ إِثَارَةً لِلْمَشَاعِرِ، قَالَ «ادْعُ اسْمَهُ لُوعَمِي» مَا يَعْنِي حَرْفِيًّا "لَسْتُمْ شَعْبِي"، ادْعُ ابْنَكَ "لَسْتُمْ شَعْبِي". تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذَا إِعْلَانُ اللَّهِ لِأُمَّةٍ أَنْشَأَهَا وَوَلَدَهَا وَقَالَ لَهَا "تَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا"، وَهُوَ يَقُولُ الْآنَ "لُوعَمِي، لَسْتُمْ شَعْبِي، لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ شَعْبِي وَأَنَا لَا أَكُونُ لَكُمْ "لَكِنْ"... هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُهِمَّةٌ جِدًّا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، جَاءَ فِيهَا "يَكُونُ عَدُوٌّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرْمَلِ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يُكَالُ وَلَا يُعَدُّ، وَيَكُونُ عِوَضًا عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: لَسْتُمْ شَعْبِي، يُقَالَ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللَّهِ الْحَيِّ. وَيُجْمَعُ بَنُو يَهُودًا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مَعًا وَيَجْعَلُونَ لِنَفْسِهِمْ رَأْسًا وَاحِدًا، وَيَصْعَدُونَ مِنَ الْأَرْضِ، لِأَنَّ يَوْمَ يَزْرَعِيلَ عَظِيمٌ». «قُولُوا لِأَخَوَاتِكُمْ «شَعْبِي» وَلَاخَوَاتِكُمْ «حَبْسِيد»».

إِذَا، فِي الْعِبَارَةِ الْأَخِيرَةِ، لَا تَنْتَهِي الْقِصَّةُ بِتَسْمِيَتِهِمْ "لُوعَمِي" بَلْ "عَمِي". تَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَأَنَا أُدِيمُ لَكُمْ مَحَبَّتِي الثَّابِتَةَ، مَحَبَّتِي الْوَفِيَّةَ تُجَاهَكُمْ. فِي هَذِهِ الْأَنْشَاءِ، جَاءَ فِي الْأَصْحَاحِ الثَّانِي "حَاكِمُوا أُمَّكُمْ حَاكِمُوا، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْرَاتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلَهَا، لِتَعَزَلِ زِنَاهَا عَنْ وَجْهِهَا وَفِسْقِهَا مِنْ بَيْنِ تَدْبِيئِهَا، لئَلَّا أُجْرِدَهَا عُرْيَانَةً وَأُوقِفَهَا كَيَوْمِ وِلَادَتِهَا، وَأَجْعَلَهَا كَقَفْرٍ، وَأُصَيِّرَهَا كَأَرْضٍ يَابِسَةٍ، وَأُمَيْتَهَا بِالْعَطَشِ". وَيَسْتَمِرُّ إِعْلَانُ الدِّيُونَةِ طَوَالَ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي. ثُمَّ نَصَلَ لَاحِقًا فِي الْأَصْحَاحِ الثَّانِي وَصُولاً إِلَى الْآيَةِ ١٩ رَجَاءُ الْمُسْتَقْبَلِ، حِينَ يَقُولُ اللَّهُ "وَأَخْطُبُكَ لِنَفْسِي إِلَى الْأَبَدِ. وَأَخْطُبُكَ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ". سَأَخْطُبُكَ لِنَفْسِي مُجَدِّدًا، سَأَتَزَوَّجُكَ مُجَدِّدًا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ زِنَاكَ، سَتَنْتَصِرُ رَحْمَتِي فِي هَذِهِ الْعَلَاقَةِ، وَسَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ. "وَأَزْرَعُهَا لِنَفْسِي فِي الْأَرْضِ، وَأَرْحَمُ لُورُحَامَةَ، وَأَقُولُ لِلُوعَمِي أَنْتَ شَعْبِي، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ إِلَهِي».

ثُمَّ تَصِلُ التَّعْلِيمَاتُ إِلَى هُوشَعَ فِي الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ. "وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «أَذْهَبْ أَيْضًا أَحِبِّ امْرَأَةً حَبِيبَةً صَاحِبِ وَرَائِيَّةٍ، كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ مُلْتَقِتُونَ إِلَى إِلَهَةٍ أُخْرَى وَمُحِبُّونَ لِأَقْرَابِ الزَّيْبِ». فَاشْتَرَيْتُهَا لِنَفْسِي بِخَمْسَةِ عَشَرَ شَاقِلَ فِصَّةٍ وَبِخُومَرٍ وَلِتَلْكَ شَعِيرٍ. وَقُلْتُ لَهَا: «تَقْعُدِينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً لَا تَزْنِي وَلَا تَكُونِي لِرَجُلٍ، وَأَنَا كَذَلِكَ لَكَ». إِذَا نَجِدُ هَذَا الزَّوْجَ الثَّانِي الْمَجِيدَ مَعَ انْتِصَارِ مَحَبَّةِ اللَّهِ. لَكِنْ لَاحِظُوا أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ وَيَشْتَرِيَ عَرُوسَهُ وَيُخْرِجَهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ.

إِنْ رَجَعْنَا إِلَى سِفْرِ الْخُرُوجِ إِلَى نَامُوسِ الْقَدَاسَةِ، فَسَتَتَذَكَّرُونَ الْقَوَانِينَ الْعَرَبِيَّةَ الْمَوْضُوعَةَ هُنَاكَ الَّتِي تُخْبِرُ كَيْفَ أَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَ بِالسُّخْرَةِ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ فِدَاؤُهُمْ بِالْمَالِ الْمَدْفُوعِ لِأَهْلِ الْعَرُوسِ. إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ مُفْلِسًا وَكَانَ يَدِينُ بِالْمَالِ لِأَحَدِهِمْ، بِإِمْكَانِهِ تَسْدِيدُ الدَّيْنِ عِنْدَ الْعَمَلِ، حِينَ يُصْبِحُ خَادِمًا بِالسُّخْرَةِ لِهَذَا الشَّخْصِ. وَإِنْ وَصَلَ مَعَ زَوْجَةٍ وَأَوْلَادٍ إِلَى ذَلِكَ الْوَضْعِ وَحَالَةَ الْعُبُودِيَّةِ تِلْكَ، وَعَمِلَ طَوَالَ السَّنَوَاتِ السَّنْعِ، فَحِينَ يُطْلَقُ سَرَاحُهُ فَإِنَّ زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ الَّذِينَ جَاءَ بِهِمْ يُطْلَقُ سَرَاحُهُمْ مَعَهُ. لَكِنْ قِيلَ لَنَا فِي سِفْرِ الْخُرُوجِ أَمْرٌ غَرِيبٌ جِدًّا، وَهُوَ أَنَّهُ إِنْ

تَرَوِّجَ وَهُوَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَتَرَوِّجَ إِحْدَى الْخَادِمَاتِ أَوْ رُبَّمَا حَتَّى ابْنَةَ السَّيِّدِ وَأَنْجَبَ الْأَوْلَادَ مِنْهَا وَحَانَ وَقْتُ إِطْلَاقِ سِرَاجِهِ، فَبِمَاكَانِهِ الذَّهَابُ حُرًّا، لَكِنْ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَصْطَحِبَ زَوْجَتَهُ أَوْ أَوْلَادَهُ. عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ بَعْدَ أَنْ يُسَدِّدَ دَيْنَهُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُصْبِحَ غَنِيًّا بِمَا يَكْفِي لِتَيْمُكُنَ مِنَ الْاِعْتِنَاءِ بِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ وَيَدْفَعَ الْمَالَ لِأَهْلِ الْعُرُوسِ لِكَيْ يَفِدِيَ زَوْجَتَهُ.

وَهَذَا الْمَبْدَأُ الْمُفْصُورُ عَلَى فِتْنَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي إِسْرَائِيلَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تَمَّ الْاِرْتِقَاءُ بِهِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِیُصْبِحَ طَرِيقَةً لَوْصَفِ الْخِدْمَةِ الرَّائِعَةِ لِلْمَسِيحِ نَفْسِهِ الَّذِي يَأْتِي وَيَشْتَرِي عُرُوسَهُ وَيَحْرُرُهَا مِنْ عُبُودِيَّةِ إِبْلِيسَ. الْمَسِيحُ يَدْفَعُ الْمَالَ لِأَهْلِ الْعُرُوسِ. هَذَا مَا يَقْصِدُهُ بُولُسُ بِقَوْلِهِ "لَسُنْمُ لِأَنْفُسِكُمْ؟ لِأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ" لَقَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لَقَدْ اشْتَرَى عُرُوسَهُ، وَقَدْ اشْتَرَاهَا وَحَرَّرَهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ. هَذَا يَنْطَبِقُ تَمَامًا عَلَى مَا يَجْرِي هُنَا فِي قِصَّةِ جُومَرِ وَهُوَ شَاعِرٌ كَمَا فِي نَامُوسِ سِفْرِ الْخُرُوجِ، بِحَيْثُ أَنَّ الْمَحَبَّةَ الَّتِي بِمُوجِبِهَا يُمَارِسُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ الثَّابِتَةَ وَوَفَاءَهُ لَنَا ظَاهِرَةٌ بِوُضُوحٍ. جَوْهَرُ "حَيْسِيد" مُوجُودٌ عَلَى الصَّلِيبِ حِينَ يَشْتَرِينَا الْمَسِيحُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ.

أَخِيرًا، يَظْهَرُ هَذَا الْمَبْدَأُ فِي رِسَالَةِ بُولُسِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَّةَ، حَيْثُ أَنَّهُ بَعْدَ اخْتِبَارِ رُوعَةٍ عِنَايَةِ اللَّهِ الَّتِي بِمُوجِبِهَا تَمَّ تَبَيُّنُنَا فِي عَائِلَتِهِ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا ذَلِكَ، فِي الْآيَةِ ٣١ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٨ يَقُولُ مَا يَلِي: "فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟ إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا!" إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا. هَذِهِ الْعِبَارَةُ اللَّاتِينِيَّةُ هِيَ مِنْ أَكْثَرِ الْعِبَارَاتِ مَجْدًا فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، "دِيُوسُ بَرُو نُوبِيس" اللَّهُ لَنَا. هَذَا يُصَوِّرُ الْمَفْهُومَ الْكَلِمِيِّ لِلْمَحَبَّةِ الْوَفِيَّةِ. "فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟" إِنْ كَانَ الْكُلُّ عَلَيْنَا، مَاذَا إِذَا؟ إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَلَا يَهُمُّ مَنْ يَكُونُ عَلَيْنَا. "الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَدَّلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ مَنْ سَيْشْتَكِي عَلَيَّ مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَبْرُرُ! مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا!"

هُنَا يَأْتِي السُّؤَالُ الْبَلَاغِيُّ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِلَّا جَوَابٌ وَاحِدٌ "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشَدَّةً أَمْ ضَيْقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نَمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». وَلكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا، (سُوبِرُ فِينْسِيمُوسُ)، يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا. فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤَسَاءَ وَلَا قُوَاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً وَلَا عُلُوقًا وَلَا عُمُقَ وَلَا خَلِيقَةً أُخْرَى"، لَاحِظُوا أَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْقَائِمَةِ أَنْ تَكُونَ مُفْصَلَةً، بَلْ تَوْضِيحِيَّةٌ أَوْ نَمُودَجِيَّةٌ. لَا شَيْءَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْأُمُورِ "يَقْدِرُ أَنْ يَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا".

حِينَ يَقُولُ بُولُسُ "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟" فَإِنَّ الْجَوَابَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ هُوَ "لَا شَيْءٌ"، لَا أَحَدٌ، لَا قُوَّةٌ، لِأَنَّ "حَبِيبَ" مَحَبَّةِ اللَّهِ الْوَفِيَّةَ، لَيْسَتْ أَبَدِيَّةً فَحَسَبُ، وَهِيَ لَيْسَتْ مَحَبَّةً مُقَدَّسَةً فَحَسَبُ، إِنَّهَا مَحَبَّةٌ ثَابِتَةٌ، إِنَّهَا مَحَبَّةٌ مُلَازِمَةٌ، بِحَيْثُ أَنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ نِلْنَا مَحَبَّةَ الْآبِ، نُنَعَمُ بِهَا الْآنَ، وَالْيَ الْأَبَدِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سِنْبُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكُلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْمًا لَاهُوتِيًّا" (Everyone's A Theologian).